

د. طراد حمادة

مؤسسة الأمير غازي بن محمد
للإفكار القرآنية
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QURANIC THOUGHT



الأسفار المكيّة

نصوص عرفانية

دار الفکر الإسلامي

File was downloaded from QuranicThought.com



الأسفار المكية

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

ISBN-9953-484-92-9

دار الهدى للنشر والتوزيع



هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٠١/٥٤١١٩٩ - ص.ب. ٢٥/٢٨٦ - الخيري - بيروت - لبنان
URL : <http://www.daralhadi.com> - E-MAIL : daralhadi@daralhadi.com

طراد حمادة

الأسفار المكية

كتاب المشاري

الإهداء

إلى

سيدي، سماحة العارف بالله السيد حسن نصرالله، الذي
في جهاده واجتهاده وسيره وسلوكه، وعبادته وآدابه، وقوله
وعمله، كان مصداق السعي والترقي في السفر الرابع من
أسفار العرفاء، من الحق إلى الحق كما يتجلى في الخلق وفيه
كل الأبعاد المعنوية، للسياسة في المسار التاريخي، كفعل
عبادي وإفصاح عشقي.

أهدي هذا الكتاب

طراد حمادة



باسمہ تعالیٰ

يا إلهي

أهديت لي قبولك بعد طول انتظاري، لا الزمان
دائرة الشوق إليك ولا المكان حدود السعي إلى بيتك
العتيق.

فهل تراني هجرت السوي، ما الذي يفعل العاشق،
حين تأنن بالمسير إليك ويأتون من كل فج عميق،
فرادى، وجماعات، رجالاً وعلى كل ضامر، يسلكون ما
يحشقون ولماذا إنن يطول الوقوف ويشد شوقي إذا ما
ذكرت أنني عازم على مئة سفر من الشام إلى
الحجاز. عاشق خائب يا إلهي ما فعلت بنفسي،

حدائق قلبي، مشاعر كل الحواس، وحجة العقل، إذا
 دعوته يقترب، وإذا صرفته يبتعد، وإذا رآك الفؤاد
 أطلقت أناشيده.

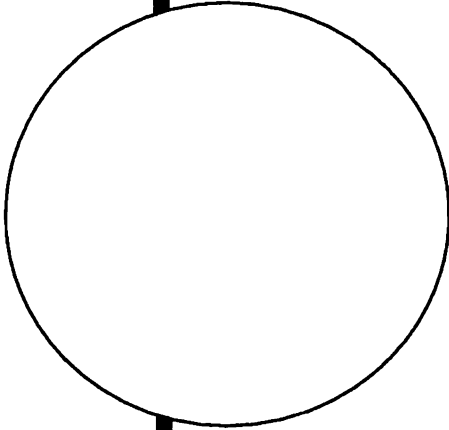
إلهي أرفع فؤادي إليك وأشهد الخلق أن البلابل لا
 تجيد الغناء كمثلي غنائي.

وإني خلعت، بلبس هذا الرداء، شغائبي، فاعفُ عني،
 واستجب، توسلي ودعائي ولطف عن رجفة القلب
 وحجة العقل، وشعور الحواس، مقام اللقاء...

في طريق الوصول إليك مترع بالشوق، مصفى،
 معافى، فرح إلى أبعد ما يطاق الفرغ. واقف إلى
 أطول ما يطاق الوقوف، ناظر إلى أجمل ما يهيم
 النظر.



السّفر الأول





وأنظر والكعبة تنظر
ما هذا يا درة خلق الله
جمال وجلال في مرآة نور الحق
تتجلى صور عوالم سنى
لو أني أطيل النظر إليك لصعقت الآن
نور بعد النور وقبل النور وعند النور



وفي محلة نور، إشراق، والليل الغافي في حوض الليل
نهار والنهار المتعني في حوض نهار
صبوح النظر المشتاق إلى وجه الكعبة

* * *

إشراق النور المتألق في ثوب الكعبة
أشرعة الأسفار المرسومة فوق أحجار الكعبة
أفئدة الخلق المعذوبة من نظرات الكعبة
ما هذا يا درّة خلق الله
إذ جنّ العاشق أو صعق المجنون
وفاضت أنوار شعوس أشهدا قبل الشمس الشاهدة
على الأزمنة، تؤرخ ميلاد الكعبة



وأنا الآن قبالة قبلة عشقي، تقبلني إلهي
برهفة هذا القلب المنذور لحب يبقى ما بقيت
قلوب العشاق تصلي
ترتجف الأيدي، وتعجز السنة ولغات

* * *

يا ربي ورب الكعبة أوصلني من موقع آخر لي
إلى فرع أكبر تحت جدار الكعبة
انقلني، من موضع أهناني
إلى هوض بكاء من نهر يتدفق بالعبرات
وتجري في مجراه، السائل مفتوهاً كذراعين وقد
زمّ الظمأ

وزمّ جوف الأرض، لينبلج الماء، سلسبيلاً قبالة

شعب الكعبة

عطشٌ لا ترويني أمطار شتاءك تهطل دهرأ

أنهار، وبعار، وتلوج ذائبة، وطوفان، ما كان له

أن يروي ظمئي

أنا العطشان لجرعة ماءٍ من كوبِ الكعبة

* * *

أواه، وهل تكفي الأيام، لأتلو كتاب الله بقلبي

يلهج فيه لساني أنطق ما فيه من الكلمات أُميدُ النطقِ

ويدهمني صمتي، يدهمني ما يشبه هذا النطق

وهذا الصمت



ما يشبه ما بين النطق وبين الصمت
وأنظر، يا درّة خلق الله إليك
عينان هما لي الآن
هل تراني أرى، هل تراني أبصر، هل تراني أنظر
يا ربي ورب الكعبة ما هذي الحال

في محلّتك يا ربي رميت رحالي
في دارك يا رب كتبت مقالي
افتح لي عن صدق سؤالي
يا ربي ورب الكعبة لجمال العوالم مرآيا الأسماء
حفظت الاسم

وشهدت الرسم وصقلت مرآتي
ما أقوى تجليك على قلبي
وأنا أتأمل في البيت جمالك
وأقول بأنني ما خلقتُ إلا لجمال، يطربني فأغشى

الداخل في دارك ينضم إلى العشاق
والخارج من دارك ينضم إليهم
مأخوذاً بالنور الساطع من صدره
البعث في الرائي الرؤيا، وفي الأشياء حضور الوجود
الداخل في دارك يسري فيه سريان العشق
يتجدد في جواهره، ويتجدد في العقول



المعمولة على جواهره
العامل والمعمول جديان والداخل والخارج عاشقان
ولكن هل تعطيني يا إلهي، وهبيني وآسر قلبي
وغافر ذنبي، وهادي دربي
أن أقيم على أبواب دارك مسحوراً
مأخوذاً يسعفني هبي مأسوراً
إلهي في قفص القلب الخائف
ولسان الحال الخائف من وصف الحال
كأني موقف، في موقف هبي على الترهال

* * *

أمير الأسفار

أنا الجوال
أمير غنائي
ونشيدي
يا ربي ورب الكعبة، قريب مني قرب وربي
فاقبلني في محلة غفرانك
ربي
واقبل صلاتي ودعائي
ولأكمل في الدوران أنا المعجون
أطوف حول الكعبة
والأرض تدور، وصفير الناي المسحور
على ترجعيات ملائكة التسبيح، وترجعُ



ما بقيت أجنحة الأرض تدور
وأنا الطائف
في عشقي
يفلبني صمتي
يخذلني نطقي
لكن من شغاف القلب المسحور
أرفع ترنيمة عشقي
ونشيدي

* * *

القلب في الدار
والدار في القلب



ولا يتسعان سوى للحبيب

* * *

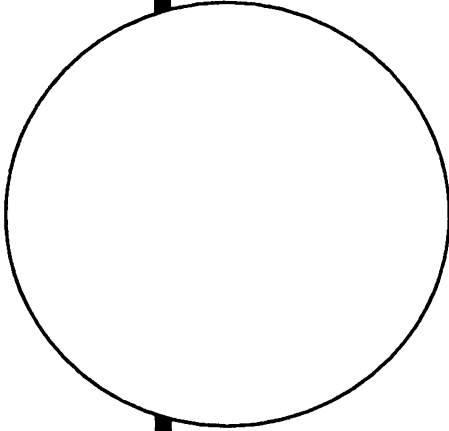
لباس الاحرام الأبيض

لم تخطه يد فائظ

غطاء بكر لجسد يولد من جديد



السفر الثاني







في طواف العسق تدور الحواس بإتقان وظائفها
النظر إلى عرش الحبيب
وسماع كلامه يتنزل على الفؤاد
وذوق متعة الشوق
في الرؤيا والسمع
ولمس فعل المشاهدة وتنشق الطيب
من دار الحبيب...

في طواف العشق
يصعد الخيال إلى أعلى أماكنه
وتستعيد الذاكرة أوسع
قدراتها، وتجمع الحافظة
ما أسر في عالم الميثاق
وتقدر الواهمة أن ما تجمع
من أخواتها كان عشقاً
ثم تبني المتخيلة إنصاح
هذا العشق في دوران
النفس، والجسد
كرقصة عاشقين



في طواف العشق
تشتعل الروح بنورها
وتقيم عرس أعراسها
في دورة المكان
ثم وهي تتذكر قفص العشق
تفتح جناحها
منهية لطيران آخر
يبعدها خارج
متعلقات الجسد

العقل نفسه يتهاى لطيران

يخصّه، يفتك من عقاله
الذي كاد يكون خاصة ذاته
مسلوب من كل إمكان
على غير الطاعة
ينقاد إلى عرش الحبيب
كما تعود أن يقود
الكون إلى الحقائق
وأنها لا تنفصل عن إدراك الحق
السر الذي جعل آدم
متقبلاً لتعلم الأسماء
موجود في الدوران



حول العرش الإلهي
وهو المصلي، القريب
إلى حافة مقام حسنه
ما استوى على عشق الجمال

في طواف العشق
سر خفي على غير أهله
قصة الناي، وعزف المغني
وسر الصوت، الصادر
عن فعل الكينونة
مضنون بدوره، على غير أصحاب القيثارة



الدوران ، في تحوله من متعة النفس

إلى رفعة الروح

إلى صيحة العقل

إلى موضع السر

إلى ما كان منه خفي

هي الآن في رهفة تحققها

لا تعود قادرة على احتمال الفراق

* * *

الأخفى في سر الطواف

أن ما تعلق منه في الجسد يضمنه البعد

وما بقي منه في الروح



يسعده القرب
فرحة الأفرح في الدوران
حول عرش القلب
تطلقه إلى سماء سابعة
يفنى عن ذاته
في دورانه حول عرش الحبيب
دوران لا ينقطع
للأجساد لا تسقى
لا يتسع للأرواح تبقى تدور في حلقة
العبد والمعاد
في رقصة سعادة الخلق

حول عرش الحق

* * *

لا الجسم جسمي ويحملني

وأعمله

ولا النفس نفسي وتسقينني

وأعذلها

لا الروح روحي

وقد علقت بعاشقها

وباريها

لا العقل عقلي

وإن كانت أوامره



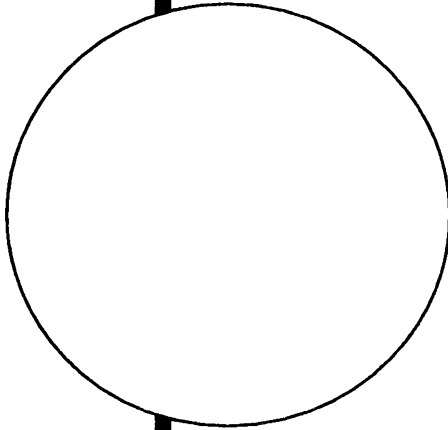
تحرکني، وأشکوها
لا السر سري
ولا ما قالت الأسرار أرويهها
وما يخفي على قلبي
من المعنى، يعاكيها
وأخفي من حكاية
الأسرار راويهها...

يا مقام الكنز المعفي
يا عشق عشقي
هبيبي

يا جمال المطلق
مطلق الجمال
يا جلال المطلق
مطلق الجلال
يا تجلي الأسماء
ومظاهر الصفات
ما الذي تراه من سعادة
الخلق في الطواف حول عرشك
وهل يشبه ذلك
طواف ملائكة العرش المقربين
لو أنك حفظت في المستأثر من أسمائك للإنسان الكامل
مقامات أخرى ...



السّفر الثالث







في صحن البيت
قبالة الركن اليماني
تصلي امرأة
وقبالة ركن الشام
يصلي رجل
في العمد السابع
وفرائش العشاق يدور

والنور الساطع من درة خلق الله

* * *

في أي زاوية يجلس محيي الدين

قبالة الركن اليماني

وابن منصور قبالة ركن الشام

وقبالة ميزاب الرحمة

سلطان العاشقين

والشيرازي لسان الغيب

قبالة مقام إبراهيم

والعابد، والزاهد والعارف، والرند والدرويش

قبالة الحجر الأسود



وأنا المتسكع في أعتاب البيت حافي القدمين
هليق الرأس، صريعاً في روضة عسقي

* * *

أتأمل في أسفار العشاق المنسيين
وأسجل اسمي في قائمة الموتى
صرعني عاشقتي
غذلتني الأحوال
مقامك جنوني هيري

* * *

أودع في هذا الليل، شمس الأنوار
وأسعى للجهة المرئية من مجلى الحق

في مجلى الخلق

يا صاحبة الوجد

يا درة تاج الحق

ما الذي فعلت بقلبي المسكين

في الرواية أن صدر الدين، مك

في عودته من الحجّة السابعة

وأن قبره في البصرة معروف ومزار

وفي الرواية: أن الحلاج تصبب عرقاً

فوق الصخرة



وكان يناهي الكعبة أو كان يواعدها

وفي الرواية أيضاً: أن محيي الدين أدرك مكة
في صيف قانظ، فأوقعه العشق بدرة عرش الله
وإن لم يتبق للشيخ الأكبر في القلب سوى
وهمين اشتد عليه الشوق
فتع عليه، حتى سُفِي، وأمعن في الأسفار

ويروى أيضاً: أن ابن الفارض رأى
في الأزهر شيخاً يتوضأ خلاف المعمود
وراح يعاتب الشيخ على طريقة الوضوء

فصاح به، اذهب

لا يفتح عليك هنا بل يفتح عليك بمكة

وشدّ على الفور الترحال

ويقول الراوي:

إن الشيرازي لسان الغيب

أودع منقار البلبل كل الأسرار

وأن فراشك هدائق شيراز

تتسابق، لتدور على الأنوار

وأن المعجنون وليلى، فرهاد وشيرين



البسطامي، البصري، الشلبي
والرومي، وسعدي، والطار

* * *

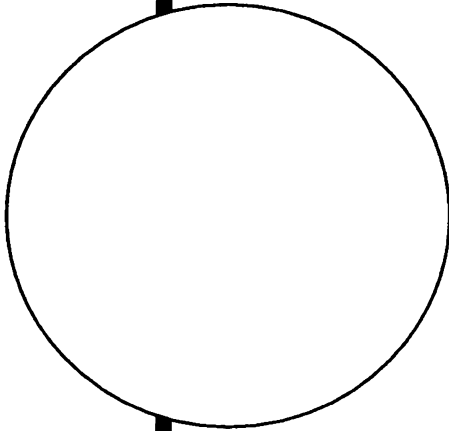
كل العشاق يجلسون في محفل عشقك سيدي
وأنا العارف والزمار
أقبع في هنزي
في فرهي، في كل جوانع قلبي
في كل كيان وجهودي لا أرى منهم أهدأ
أنتظر العودة ثانية
يا سيدي
مرات أخرى



مرات لا تعصمها
تشتعل الأنوار



السفر الرابع







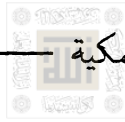
في هذا الليل
ومكة في عرس الأعراس
لا الخلق نيام
ولا ملائكة العرش
الأرض والسموات
الشمس والقمر والنجوم
وكواكب أخرى

ومسافات أخرى للمكان
وأزمنة أخرى للزمان
وأحاسيس أخرى للإنسان
وكذلك عقول أخرى
ونفوس أخرى
وأرواح، وأفئدة
ولهي
في حلقة الرقص الإلهي
يتبدى كل
خلق وإبداع جديد

* * *



هَبِّرْنِي الْعَشَقَ
وَقَدْ أَمْضَيْتَ عَمْرِي
أَبْحَثُ عَنْ كَأْسِهِ
لَيْسَتْ مَنَابِعُ الْأَنْهَارِ تَرْوِينِي
وَلَا جِرَارُ الْحِظِّ تَكْفِينِي
أَيْنَ يَا هَبِيبِي
مَحَلَّةُ نَبْعِي
وَبَسْتَانَ كَرْمِي؟
صَبِّرْنِي الْعَشَقَ
وَكُنْتُ مُسْغُولًا
بِجَسَدِ يَلِيقُ بِي



وثوب يليق بجسدي كانت زينتي هيرتي
هيرني العشق
ويفظة جسمي
وغفمة قلبي
ولا زلت أبحث عن وردتي
وقد صنعت غناء البلبل
في فضاءات صراخي
ولا زلت أبحث عن شمعتي
وقد صنعت روح فراشي
من ضجيج أضوائتي
ولا زلت أبحث



عن ليلالي

وقد أضعت أنا المجنون ليللي، في غربة الصحراء

* * *

الوجود الذي أبتغيه

هو هذا الوجود

إذن ما الذي يجعلني

أبحث عنه

وأنا في محضره

الكلام الذي أسمع

هين أصغيت

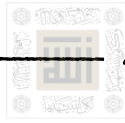
إلى صوت روحي

هو الذي ندهتني به
هل تراه نزل في سمعي
كما تنزل على قلبي
العشق الذي أدور
هوله هو هذا العشق
إذن لماذا أبحث
عن قلبي وأنت فيه
لماذا أبحث عنك
وأنت في قلبي
أسعى إليك في قلبي
ويتسع لك قلبي



ما هذا يا هبيبي
هيرتي لا تطاق

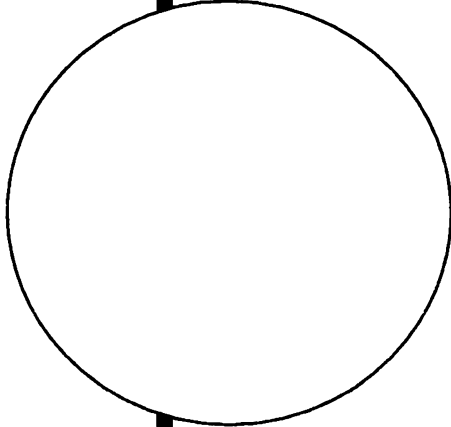
الدار دار هبيبي
والعزار، قبلة مشتهي
وصنعتي الأسفار
من أين، يا قلبي الفرار
خذلتني هيرتي
لا النور يسعفني لأشهد
حجب، تقوم وراءها الأنوار
إن كنت تقبلني



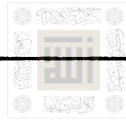
حبیبی

اکسف غطاء بصیرتی
کی تصیر یقظتی، الإبصار

السَّفر الخامس







ليل مكة، ليس كمثل الليل
معطوفاً على فجر
وتضيئه شمس له
شمس لمكة
وإذا سئت لها قمر
ولها فضاءات
وأمكنة، وأزمنة

ولها كل ما يشاء رب البيت
من متع، ولها تبرج الحسناء
ورقصة الأرواح من طرب
وأكواب من ماء زلال
عسل مصفى
حجارة نطقت باسم خالقها
وأشجار، وعصى، ترجم
صورة الشيطان
لمكة كل الليل حتى الفجر
لمكة كل الضحى حتى الزوال
وكل الظهيرة حتى الغروب

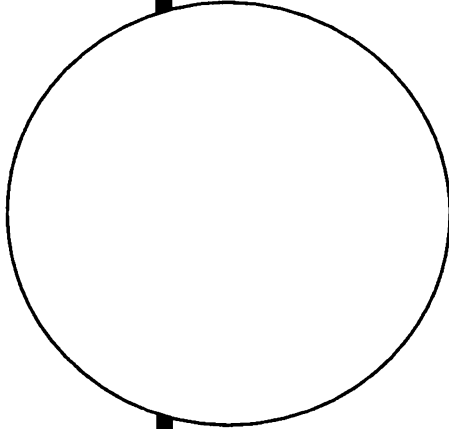


وهي التي جمعت ما تجمع
من صفات الأرض والسماء
الملائكة، والكلام المنزل
في غار هراء على قلب الحبيب
وإذا ما درت في طواف
القلب حول العرش
دار كل جهال غريب
يا مدينة الله
ما الذي فعلته في قلبي

* * *



السّفر السادس







إلهي

وقفت على جبل معرفتك، بعد زيارة محلّتك
وإحساسي، أنك في نظري وسمعي، وشعبي وذوقي
ولمسي وكياني الذي فيه أوجدتني، وجوارهي
التي جعلتها شاهداً عليّ يوم ألقاك، وتقف جموع
الأجساد والأرواح أفئدة مشخّصة ووجوه شاخصة،
وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة، ترجو
العفو والمغفرة، وقد تركت كل سوى، وخرجت



من مواقف ضيق الجسد، وفقر الدنيا، إلى سعة
الروح وغنى الآخرة وهي على يقينٍ عقلي
وحدسي باطني وتصديق قلبي.
إن رحمتك تتسع لكل شيء، وإنه ليس خارج
رحمتك شيء، وإنك أنت التواب الرحيم.

* * *

إلهي

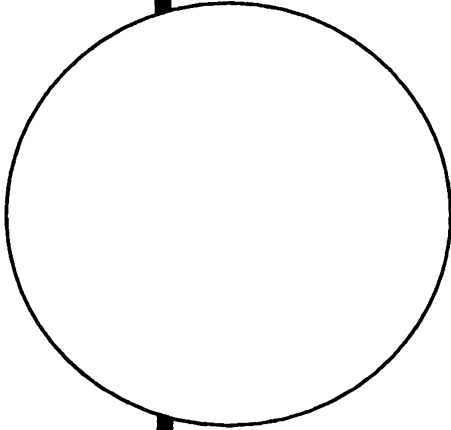
وقفت، في جبل عرفة، وقفة الحائف من النار،
الراغب في الجنة وقفة الهالك إذا صرفت لطفك
عنه، الفائز إلى دنو عطفك منه. وقفة البعيد عن
السوي القريب من الحبيب مساهمة هذه الأرض



الإلهية. التي رأيت فيها ما رأيت، حين هبط
الليل، وساد الظلام، ورأيت فيها ما رأيت حين
طلع الفجر وسرى النور ورأيت فيها ما رأيت
استغفار الخلق في معارج رحمة الحق.
ورأيت أنني واحد من الناس كل الناس، يقرأ قل
هو الله أهد، وقل يا أيها الكافرون وقل أعوذ
بربّ الفلق، ويقرأ ما استفاقت روحه على كلامك
في كتابك، تحت نظرك في هبلك الذي يصل
الأرض بالسماء، بعدما استيقظت الروح في زيارة
بيتك، وطربت من الطواف حول الكعبة، درة العرش
الإلهي على صفحة الأرض شامة عشقٍ على وجه روهي.



السّفر السابع

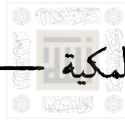






في منى
منيت نفسي أن أراك
كنت في قلبي وأدري
أنه القلب
وأشقاني وصولي
يا سعه القرب

* * *



ما الذي يجعل من
دعوة العشق
إذن، كل هذا الشوق
في صمت السؤال
ما الذي يجعل
من تكبيرة الاحرام
مطوى الفؤاد
لمعفل العشق
إذا وقف المصلي
واستوى، ثم انحنى
في ركعة التعظيم



وجهتي لسجدة اسمك الأعلى

هبيبي

هذا أوان القرب

فاقبلني

على هرج المسافة

بين صوتي، والصلاة

أقرب من نفسي إلى نفسي

ومن جسدي

إلى هبل الوريد

والدار دارك

وأنا المسافر
من بلد بعيد
وحسبت أنني قد نزع
الثوب
مشتاق جديد

* * *

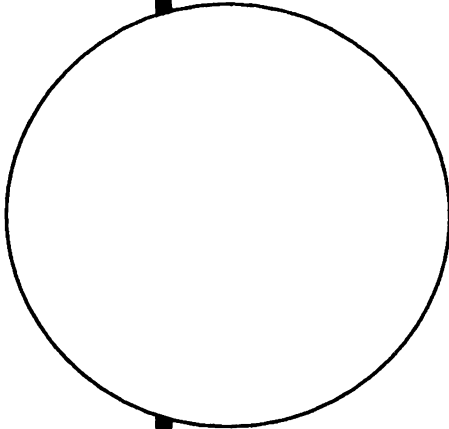
حسبي، حبيبي
أن السماء إذا رأني
هبطت ملائكة الصباح
الشمس في برج القمر
والنجمة الأولى تسبّع



في مدار شروقها
ضجّت بي الأفرع
في جسد معاني
وفي قلب سعيد



السّفر الثامن







رمي الجمرات
بتكرّر مرات ثلاث
على أيام ثلاثة متتالية
ويرجم فيها الشيطان الأصغر والأوسط والأكبر
وفي كل مرة
عليك أن تتزود بالحصى البكر
الصالحة للرمي

إن بكرة الحمى، تعني أنك
تمتلك القوة الفطرية
التي كان آدم قادر بحيازتها على حفظ الأسماء
وإصابة الشيطان في مواطن مقتله
وتعني أن جمرات الرمي، والرامي
الاثنان معاً، متخليان عن متعلقاتك، كان
للشيطان أن ينفذ منها في يوم ما
ذلك العمر الذي يسبق فريضة الحج
وإذا كانت مواقيت رمي الجمرات
تأتي في الأيام الأخيرة من الحج
بعد وقوف عرفة



وأعمال مكة من طواف وسعي وصلاة، وعمرة
وما يسبقها من اغتسال وخلع ولبس، من تحلّ وتحلّ
فإن ذلك يعني، أن الرامي الذي تزود بالجمرات

سيرمي بها الشيطان

الأكبر، والأوسط والأصغر

قد طرده من نفسه خلال أعمال الحاجّ السابقة
إن ذلك في غاية الأهمية لتكون الرميّ صائبة

القلوب ثابتة

والسواعد متينة

والنية صادقة

والإرادة متوفرة

والعزيمة متحفزة
والشجاعة متحصلة
بالتقدم بخطوات قوية
ثابتة تسق صفوف الرماة الآخرين
تهتف بصيحة الإسلام
بما هي صيحة الحرب
الله أكبر

ثم ترمي نحو الشيطان وتصيب منه مقتلاً في القلب
والصدر والرأس وتسمع أصوات عدة تكبر إلى جانبك
وتصيح صيحة الحرب
وتحسك على إصابته في مقاتله



وعندما تعود إلى أعمالك الأخرى تصعب أكثر

عزيمة على العودة ثانية

ترمي بها وفي نيتك القول، إني رميت والله رمى...

إن الإنسان غالب للشيطان بعون الله ونصرته

* * *

حصاة إثر حصاة

كانت الجمرات

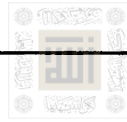
ترمي

وأصوات الحجيج تملأ الأفق المعيط بصيحات العرب

وكنت أقترّب من منازل عدوي

وعدو الله

الأقدام ثابتة والساعدان قويّان
وكان ثمة ما يحرك الروح
أشياء غريبة
تحدث في هذه اللحظات
صور شتى لمواقع أخرى
مواجهات منذ بداية الخلق
وسعي سابق له
اهبطوا بعضكم لبعض عدو
تلك كانت لحظات لا تنسى
ليس فيها مما قاله غوته
تلبّثي لأنّ راتعة الجمال

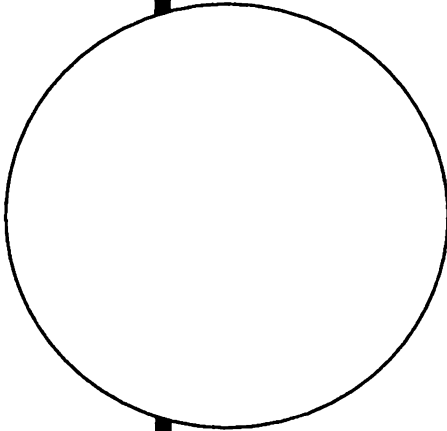


لكنها إدراك عميق
إنه في هذا الوقت يكون الإنسان
في سعي إلى الحبيب الأزلي
قد وضع قدميه بقوة وثبات تماماً
وبتصدي القلب والجوارح على طريق العشق الأزلي





السّفر التاسع







اليوم، ميقات رمي الجمرات
جمعت الحصاة على سهل
وعزمت أن أوفي بعهدي
كان شيطاني خبيثاً
مرة هدثني أن لا حاجة
للمرمي، طالما غيري سيرمي
شدّ مني العزم

إني قد عزمت، وشدّ عزمي
فخطوت، خطوة أولى
وصحت، صيحة التكبير
صاح قلبي
صيحة الحرب

كان شيطاني يعنيني
بأن الأرض مفسدة
لأدم، وأن لي في جدي
الأعلى، ميراث، من الظلم
ومن سفك الدماء



وَأَنْ الْأَرْضَ، مَاوِي
الْعَابِثِينَ، الْخَاسِرِينَ النَّادِمِينَ
وَأَنَّهُ اخْتَارَ السَّمَاءَ لِمِثْلِهِ
كَانَ شَيْطَانًا لَعِينًا
يُحَسِّنُ الْإِغْوَاءَ، وَالْإِغْوَاءَ
يَكْرَهُنِي
وَيَمَعَتْ فِي جِدِّي الْأَعْلَى
حَفِظَهُ الْأَسْمَاءُ
وَأَدَاءَ الصَّلَاةِ

* * *

الأرض ماوى، العابدين، الزاهدين

العارفين الوثائقين برحمة الله
الأرض مجمع العشاق
الطائفين حول العرش
الصاعدين إلى السماء
اليوم، ميقات رمي الجمرات
عازم، أقذف الأولى وأتبعها بثانية وثالثة
ورابعة وخامسة وسادسة
لتكون سابعة الجمرات
القائلة
هكذا ترمي، وترمي قوافل
العشاق، رمي القافلة

الأسفار المكية